دور المراسلات
في تطور الدولة الإسلامية
(عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم)

دراسة تاريخية تحليلية

إعداد:

الدكتور / إبراهيم بن علي الربعي

الأستاذ المساعد في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

ح مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الربعي، إبراهيم علي

دور المراسلات في تطوير الدولة الإسلامية: عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. / إبراهيم علي الربعي. - المدينة المنورة، ١٤٤٠ هـ.

٣٩٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ١-١٢-٨٢٥٦-٦٠٣-٩٧٨

١- كتابة الرسائل. ٢- المراسلات. أ. العنوان

ديوي ٦٥١,٧ ١٤٤٠/١٨٠٢

رقم الإيداع: ١٤٤٠ / ١٨٠٢

ردمك: ١-١٢-٨٢٥٦-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

جميع الحقوق محفوظة

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

المملكة العربية السعودية | المدينة المنورة 42318 - 6131 | 4536 طريق الملك عبدالله (الدائري الثاني)

3662 المدينة المنورة 41481 Info@mrsc.org.sa www.mrsc.org.sa

K.S.A | Al-Madinah Al-Munawwarah 42318 - 6131 | 4536 king Abdullah Road - (2nd Ring Circle)

دور المراسلات

في تطور الدولة الإسلامية

(عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يعدّ عصر الخلافة الراشدة التطبيق الفعلي لتعاليم الإسلام وقيمه الحقه، حيث كان المسلمون في العهد النبوي يقودهم ويسوسهم النبي ﷺ بتوجيهات الوحي المنزل، وكان فعله وأمره ونهيه وكلامه ﷺ تشريعا، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ – ٤]، وكان ﷺ يقول: «إِنِّي لا أَقُولُ إِلا حَقًّا».

كان أصحاب النبي ﷺ أفضل الأصحاب وقد كان لصدقهم وامتثالهم لأوامر الله ورسوله أكبر الأثر في نشر الإسلام، واستحقوا مقابل ذلك الثناء من الله فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولما لهم من منزلة سامية عند النبي ﷺ قال: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَباً، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَه».

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو راض تمام الرضا عن أصحابه بدأ تاريخ جديد أكبر تحدّ مما سبق، حيث التحدي الأكبر في الممارسة الفعلية لتعاليم الإسلام والاجتهاد والاجماع فيما لم ينزل فيه نص، حيث توقف مصدر التشريع (الكتاب والسنة) بوفاة النبي ﷺ وانقطاع الوحي.

وتولى الحكم كبار الصحابة من السابقين الأولين للإسلام، وممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، يعاونهم الصحابة العدول الذين زكاهم الله في كتابه العزيز.

لقد استطاع الصحابة رضوان الله عليهم ضرب أجمل وأعظم الأمثلة في الترفع عن حظوظ النفس وتطبيق العدالة الصارمة على أنفسهم وأقرب الناس عليهم مع الرحمة والشفقة على المسلمين وغيرهم من طوائف المجتمع في دولة الخلافة الراشدة، دافع ذلك الخوف من الله وشدة المراقبة له

سبحانه، وكان من نتائج ذلك ترحيب السكان بالفاتحين المسلمين والتخلي طواعية عن ديانتهم السابقة، بل وحتى التخلي عن اللغة الأم واستبدالها بلغة القرآن الكريم، وهذا الأثر العظيم والتحول الكبير في نفوس سكان البلاد المفتوحة من قبل جيوش الصحابة رضوان الله عليهم لا نجد له مثيلا في حملات هانيبال وهولاكو والرومان والفرس ولاحقا في حملات أوروبا واستعمارها البلدان والشعوب لعدة قرون.

لقد تعددت رسائل الخلفاء الراشدين إلى الأقاليم المفتوحة لتغطي الجانب السياسي حيث تولية الأمراء والولاة ومراقبتهم وعزلهم ومحاسبتهم، والجانب الاقتصادي في قدر الزكاة والخراج والفيء والجزية وعروض التجارة.

كما تناولت تلك الرسائل الجوانب الاجتماعية الطارئة والجديدة نتيجة للفتوحات الواسعة، وتعدد عناصر السكان ونشاطاتهم، وما استجد من أهمية تأسيس وبناء المدن وتنظيمها.

ولم تغفل الرسائل جوانب الحسبة والأمر بتقوى الله، وتذكير الولاة بالأمانة الملقاة على عاتقهم في إحقاق الحق ونشر العدل بين الناس.

إن هذا الكتاب "دور المراسلات في تطور الدولة الإسلامية" للباحث/ د. إبراهيم بن علي الربعي، يغطي جانبا مهما من إدارة الخلفاء

الراشدين للدولة، ويرسم خطوطا واضحة لأنظمة الحكم والاقتصاد ومعالجة المشكلات المتجددة بفقه وبصيرة الراشدين رضوان الله عليهم، وكيف كانت هداية الله لهم وتوفيقه في اتخاذ تلك القرارات الملهمة والمفصلية في تاريخ المسلمين.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شكر وإهداء

الشكر لله عز وجل على عظيم نعمه وتوفيقه

ثم لوالدي الكريمين (حفظهما الله)

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى:

زوجتي الدكتورة منال بنت عبدالله الضالع،

وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القصيم

الدكتور محمد بن إبراهيم أبا الخيل

والأستاذ المشارك بقسم التاريخ بالجامعة الإسلامية

الدكتور حمدي مصطفى شاهين

”

هذه رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية، بتاريخ: ٢٨/ ٧/ ١٤٣٧هـ، وقد أجيزت بتقدير ممتاز مرتفع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين. وبعد:

كان للرسول والرسالة أهمية قصوى بين الدول والمجتمعات والشعوب منذ بدأ خلق الإنسان، وكان للرسالة دور مهم في ترتيب شؤون الدول الداخلية منها والخارجية فترتيب البيت الحاكم، ورسم السياسة، والإدارة، والاقتصاد، والنظام العسكري، وغير ذلك لا يتأتى إلا من خلال التواصل بين أركان الدولة عبر الرسائل، فلما جاء الإسلام رسخ قواعد الرسالة، ومكن الرسول من أخذ مكانته وقيمته في المجتمع بصفته ركناً من أركان الدولة والمجتمع، فكثر رسل الإسلام في زمن النبوة، وغلب على تلك الرسائل الطابع الدعوي.

وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار جيوشها وكثرة المدن المفتوحة، وتولي الولاة والقادة زمام الأمور في هذه المدن كان لابد من التواصل المستمر فيما بين الخلفاء والولاة وبين الولاة أنفسهم، والتواصل مع أفراد المجتمع، وكان هذا التواصل عبر رسل يتم انتقاؤهم بشكل دقيق، وذلك بحسب موضوع الرسالة التي يحملها وأهميتها وإلى من يحملها، فكثرت الرسائل في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

عامة، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ خاصة حيث سعى إلى تنظيم المراسلات للتواصل مع مركز الخلافة، فصارت المدينة تعج بالرسل باستمرار في رغبة منه بعدم انقطاع أخبار المسلمين عنه .

ولقد تنوعت هذه المراسلات: فمنها الرسائل السياسية والإدارية التي اتسمت بالشفافية والوضوح كرسائل التعيين والعزل، أو رسائل التوجيه في التعامل السياسي والإداري مع الولاة، ورسائل المحاسبة والتدقيق، أو تلك الرسائل التي من خلالها تمت مخاطبة العامة عن طريق الولاة، وكان لهذه المراسلات أثر واضح في النهج السياسي والإداري للدولة في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ، وفي زمن الفتنة ظهرت الرسائل السياسية بوضوح وغلب عليها الطابع الإصلاحي الهادف إلى توحيد الصف السياسي.

ومن هذه الرسائل: المراسلات الاقتصادية كرسائل الزكاة، ورسائل جباية الخراج، ورسائل الجزية، والرسائل في توزيع الأراضي الزراعية وعروض التجارة مع غير المسلمين، ورسائل تقسيم وزراعة الأراضي المفتوحة، حيث أسهمت هذه المراسلات في رسم السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ، وتقويته

عبر سن بعض القوانين الاقتصادية وفق الشريعة الإسلامية وتنظيم الواردات والصادرات وإنشاء بيت المال وتنظيمه.

ومن هذه الرسائل أيضا: المراسلات الاجتماعية كالمراسلات بين الخلفاء والعامة في شتى شؤون الحياة، وهي رسائل متنوعة في موضوعاتها وتصنيفاتها، والمراسلات في إقطاع الأراضي والتخطيط العمراني، والمراسلات في النعي والمواريث، ومراسلات الزواجات والموالي، وقد رسمت هذه المراسلات صورة واضحة للحياة الاجتماعية في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك المراسلات في الاحتساب ومنها مراسلات الاحتساب على الولاة حيث ظل الولاة تحت رقابة الخلفاء ومتابعتهم فكانوا يتعاهدونهم برسائل الاحتساب والنصح، ومن مراسلات الاحتساب الرسائل إلى العامة حيث يتم إرسال رسائل إلى عامة الناس تقرأ عليهم من قبل الولاة في المساجد وغيرها ويغلب عليها طابع الدعوة إلى الجهاد وتعلم القرآن والحث على التقوى والزهد والتحذير من البدع والانسياق وراء الفتن، كما وردت رسائل خاصة في الاحتساب على الأفراد، وقد حَمَلت بعض هذه الرسائل الصفة الفردية، ووجهت إلى أفراد بعينهم بغض النظر عن صفتهم الاعتبارية، وجاءت رسائل أخرى موجهة

إلى أشخاص من عامة الناس ارتكبوا منكراً معيناً فلزم إرسال رسائل إليهم، وتُظهر رسائل الاحتساب مدى التكافل بين المجتمع الإسلامي وترابطه انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: آية ١١٠] .

إن هذا البحث يعنى بدراسة المراسلات دارسة تاريخية تحليلية، وذلك باستقراءٍ دقيقٍ لها، وفهمٍ لنصوصها، والكلمات المبهمة داخل النص وما وراء النص، والبحث في توقيت وأسباب ودوافع تلك المراسلات وآثارها، وفهم الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية عند حمل الرسائل.

المؤلف

الدكتور/ إبراهيم بن علي الربعي

المدينة المنورة

١٥ من شهر ربيع الأول من عام ١٤٣٨هـ